الاثرُ الدلاليُّ للفاصلة القرآنية في سورة الشمس

The Semantic Effect of the Qur'anic Comma in Surat al-Shams

م. م. عبدالله خالد عبد طالب الخالدي

Mr. Abdullah Khaled Abd Talib al-Khalidi. .

كلمات مفتاحية : الفاصلة القرآنية /السجع/ الفونيم/ علم الدلالة/ القفل الإيقاعي

ملخص البحث

موضوعُ (الفاصلة القرآنية وأثرها الدلالي في سورة الشمس) تلمست فيه بعضا من أسرار ذلك التعبير العجيب المُعْجِز من خلال دراسة التأثير الدلالي للـ(الفاصلة القرآنية) في هذه السورة، ممّا خلص إليه البحث هو ان الفاصلة في القرآن الكريم بشكل عام مراعية للمفردة والمعنى والنغم في آن، وهذا ما لا يتسنّى لغير القرآن أن يتمتّع به على خلاف سجع الكهان او السجع بشكل عام ، وهذا جانب من جوانب الاعجاز في القرآن الكريم

Abstract

The topic of Qur’anic comma and its semantic effect in Surat al-Shams in which I touched upon some of the secrets of that wondrous and miraculous expression by studying the semantic effect of (the Qur’anic comma) in this surah, from what the research concluded, is that the comma in the Noble Qur’an in general takes into consideration the word, the meaning and the rhythm at the same time, and this is what only the Qur’an can enjoy, unlike the sojourn of priests or prostration in general, and this is an aspect of the miracles in the Holy Qur’an.

الحمدُ لله وحده، وصلّى الله على نبيه وعبده ، وعلى آل بيته أجمعين ، وبعد ؛ فقد مثّلت المدونة القرآنية المقدسة معينا ثرّا ما انفكّ الدارسون ــ بمختلف ألوانهم ــ ينهلون من فيوضاتها المتدفّقة التي ما فَتِئَتْ تتدفّق ولا تهدأ على مرّ العصور والأزمان ، فكان هذا دافعا لكل دارس يدعوه إلى الاغتراف منها ، والدخول في عالمها اللاهوتي متّسع الآفاق ، مترامي الأطراف ، موضوع (الفاصلة القرآنية وأثرها الدلالي في سورة الشمس) تلمسّت فيه بعضا من أسرار ذلك التعبير العجيب المُعْجِز من خلال دراسة التأثير الدلالي للـ(الفاصلة القرآنية) في هذه السورة ، وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن أقسمها على تمهيد وثلاثة مباحث تسبق ذلك كلّه مقدمة وتختمه خاتمة ، فأمّا التمهيد فقد اضطلع بدراسةِ مفهوم الفاصلة القرآنية في اللغة والاصطلاح ، وأمّا المباحث الثلاثة فقد أردنا بوساطتها دراسة التأثيرات الدلالية للفاصلة على سياق سورة (الشمس) ، وجاء تقسيمها مستندا إلى دواعي الدراسة الدلالية ، فاهتمّ الأول بدراسة (الأثر الدلالي الصوتي للفاصلة) ؛ كون الصوت أصغر وحدة دلالية توحي بالمعنى ، ثمّ تلاه المبحث الثاني ليضطلع بدراسة (الأثر الدلالي الصرفي للفاصلة) بوصف البنية الصرفية ثاني وحدة دلالية في النسيج الدلالي اللغوي للنص بعد الصوت ، وتجاوزنا (الدلالة النحوية) ؛ كون الفاصلة تُبنى ــ في الغالب ــ على كلمة واحدة ، وهذا النمط من الدلالة يُراعي العلائق الترابطية بين المفردات المُكَوِّنة للتراكيب الجُمَلِيّة النحوية ، ودراسة هذا المستوى من النص يُخرج دراستنا عن سياقها الذي رُسم لها وهو اقتصارها على تتبّع دلالة الفاصلة التي تمثّل المفردة الدلالية ، وقد استعضنا عن ذلك بمبحث غاية في الأهمية جاء بعد المبحثين السابقين ليهتمّ بدراسة (الأثر الدلالي الإيحائي للفاصلة) الذي ركّزنا فيه على تتبّع أبرز الظلال الإيحائية التي بثّتها الفواصل في نسيج سورة (الشمس) ، وقد خُتمت هذه المباحث بجملة من النتائج التي أفضت إليها الدراسة بعد رحلتها .

واغترفت الدراسة مادتها من جملة من الدراسات وبخاصة دراسات المحدثين التي خاضت في هذه المضمار من قبيل دراسة الدكتور عمر عبد الهادي عتيق الموسومة بـ(الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية) ، ودراسة الأستاذ الدكتور زاهد غازي زاهد الموسومة بـ(الفاصلة القرآنية طبيعتها الإيقاعية وأنواعها ووظيفتها)، فضلا على جملة من المراجع الحديثة التي اهتمّت بالدراسة الدلالية .

وقبل الختام يروق لي أن أقدّم باقة معطرة من الشكر والثناء بين يدي أستاذة مادة (البلاغة القرآنية) الأستاذ المساعد الدكتورة أنوار سعيد جواد النقيب لتجشّمها عناء تدريسنا، والإشراف علينا ومتابعتنا، فجازاها اللهُ عنّي وعن زملائي خيـر جزاء المحسنين .

وبعد؛ فهذه الدراسة هي جهد المُقلّ، وهي معالجة حاولت جاهدة أن تقطف ثمارا، وتنتج نتائجَ طيبة فيما رُسم لها، فإن كانت قد بلغت الشأن وطالت المراد، وأصابت ما أُرِيدَ لها أن تُصيب، فما كان هذا إلاّ بفضلٍ من الله ثمّ من شيوخ سهروا على تعليمنا، والأخذ بأيدينا إلى مصافّ البحث الصحيح، وإن كانت الأخرى فهي منّي أنا؛ لأنّي لم أعرف من أين تُؤكل الكتف، وكيف تورد الإبل، فأسال الله ــ بعد ذلك ــ أن يتقبّل أعمالنا بقبولٍ حسن، وأن يقيل عثارنا

إنّه سميع مجيب، والحمد لله ربّ العالمين .

مفهوم الفاصلة القرآنية ، لغةً وأصطلاحاً

لابدّ للباحث في موضوعة أن يسلّط الأضواء على أبرز عتباتها ومداخلها قبل الخوض في موضوع الدراسة الأساسي؛ كي يقدّم بين يدي بحثه فرشة تعين القارئ على الوقوف عند هذا المفصل المهم من مفاصل المدونة القرآنية المقدّسة ، ولعلّ أبرز ما يستوقفنا في هذا المضمار الفاصلة مفهومها وأهميتها الدلالية ، والعلاقات التي تتواشج فيها مع المستوى الدلالي للنص القرآني عامة .

أولاً : الفاصلة لغةً

وردت مادة «فصل» بعدة معانٍ في اللغة العربية نذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر فيما يلي :

((فصل: الفصل مابين الشيئين (...) الفاصلة في العروض أن تجمع ثلاثة أحرف متحرّكة والرابع ساكن مثل : فَعَلَتْ (...) أواخر الآيات فواصل بمنزلة قوافي الشعر – جلّ كتاب الله عز وجل- واحدتها فاصلة (...) وقوله عز وجل : ((كتاب فصلناه)) له معنيان : أحدهما تفصيل آياته بالفواصل ، والمعنى الثاني في فصلناه بيناه))[١]

ويقول الخليل : ((الفصل : القضاء بين الحق والباطل ، واسم ذلك القضاء : فيصل ، قضاء فيصلي وفاصل ، وحكم فاصل)) [٢]

والفاصلة ((الخرزة تفصل بين الخرزتين في النظام)) [٣]

أي أن الفاصلة كالخرزة الموجودة في العقد الذي تلبسه المرأة في عنقها حيث تكون خرزة مغايرة باللون مقارنةً ببقية الخرزات الأخر والمعنى المرجّح من هذه التعاريف اللغوية هو أن المادة «فصل» تدلّ على خاتمة كل جزء من الأجزاء ضمن نظام معيّن.

ثانياً : مفهوم الفاصلة في الاصطلاح وأهميّتها

الفاصلة «كل آية لها مقطع تنتهي به ..هو»الفاصلة».. وليست هذه قافية شعر،ولاحرف سجع ... ، وإنّما هي شاهد قرآني لايوجد إلاّ فيه» [٤]

لقد عُنيت الدراسات القديمة بمفهوم (الفاصلة) ، وطُرحت – في ذلك – مفاهيم متعدّدة تكاد تكون متقاربة متساوقة فيما بينها ، يكاد لا يفصل بينها خلا مستوى الطرح الذي تقدّم فيه ، والفهم الخاص الذي يضطلع به دارسها ويُقدّم – في ضوئه – تصوراته تجاه هذه المفصل المهم من النصّ القرآني ، فمنهم من قال إنّها ((حروف متشاكلة في المقاطع تُوجب حسن إفهام المعاني ...)) [٥] .

ومنهم من شبّهها بالقافية في الشعر والسجع في النثر فقال ((هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع)) [٦] ، فـ((الحرف الملتزم المتكرّر في قافية القصيدة يتوالى ويتكرّر حتّى نهاية القصيدة كالسجع الذي يتوالى في نهاية الجمل النثرية وكالفاصلة التي هي في نهاية الآية ، لكنّ السجع والفاصلة قد يتكرّر فيهما الحرف الملتزم وقد لا يتكرّر فلكلّ نوع من هذه الأنواع مصطلح اختصّ به ...)) [٧].

وقد ميّز أصحاب الإعجاز مصطلح (الفاصلة) في القرآن الكريم عن (السجع) في النثر ولم يسمّوا ما تماثلت حروفه سجعا رغبة في تنزيه القرآن الكريم عن الوصف اللاحق بغيره من كلام الكهنة وغيرهم، والحقّ أن لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره

من كلام في كونه مسجوعا ولا فرق بين الفواصل التي تماثلت حروفها في المقاطع وبين السجع إذا لم يكن كله مسجوعا[٨].

وقد لخّص الزركشي (ت٧٩٤هـ) ذلك في قوله : ((تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمّى فواصل ؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسمّوها أسجاعا ، فأمّا مناسبة فواصل فلقوله تعالى كتاب فصّلت آياته وأمّا تجنّب أسجاع فلأن أصله من سجع الطير فشرف القرآن الكريم أن يستعار لشيء فيه لفظ هو أصل في صوت الطائر ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الواقع في كلام آحاد الناس ولأن القرآن من صفات الله عز وجل فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها وإن صحّ المعنى ثم فرقّوا بينهما فقالوا السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه والفواصل التي تتبّع المعاني ولا تكون مقصودة في نفسها)) [٩].

وقد حدّد أحد الدارسين ثلاثَ وظائفٍ للفواصل القرآنية : [١٠]

- أولها : مناسبتها لمعنى الآية وإتمامها لذلك المعنى ، بحيث لو لم تُقرأ الفاصلة أو أُسقطت لاختلَّ معنى الآية، أو اضطرب فهم المتلقّي لها .
- ثانيها : إتيانها بمعنى يُضاف إلى معنى الآية ويؤكّده بعد تمام معناها .
- ثالثها : وظيفتها الإيقاعية ؛ فهي بمثابة القفل الإيقاعي للآية، وهي موضع الوقف الذي يستريح به القارئ المرتّل للقرآن الكريم .

ويُفهم ممّا تقدّم ــ في النقاط السابقة ــ أن الوظيفة الدلالية للفاصلة هي المقدّمة ، وانّ وظيفتها الإيقاعية تأتي في هامش الوظيفة الدلالية لها ، أو أنها تأتي لدواع موسيقية نغمية جمالية .

المبحث الأوّل

الأثر الدلالي الصوتي للفاصلة

ممّا لا شكّ فيه ((إن اللغة ظاهرة صوتية تختلف اختلافاً كلياً عن سائر الرموز الأخر غير اللغوية، ومن ثم فإن دراستها دراسة علمية تستوجب البدء بالأصوات بوصفها وحدات مميّزة تنتج عنها آلاف الكلمات ذات الدلالات المختلفة)) [١١]، وتجدر الإشارة إلى أن ما نوّد الحديث عنه في هذا السياق هو القيمة الدلالية للصوت(أي الفونيم)، على أساس أن الفونيمات تلعب دوراً فعّالاً في تحديد الدلالة[١٢]، وسنحاول في هذا المبحث أن نبيّن وظيفة الصوت المفرد في نهايات الفواصل القرآنية في السياق العام للسورة موضع الدراسة .

لقد ((حظيت الفاصلة القرآنية باهتمام القدماء والمحدثين ، ولكن اهتمامهم يكاد يقتصر على ربط الفاصلة (الكلمة الأخيرة) بالسياق الدلالي للآية ربطاً معجمياً دلالياً، وقد أفضى هذا الربط إلى مقولة التناسب بين الفاصلة والآية من حيث المعنى والمقام ، وقد خلت معظم الدراسات من ربط الدلالة الصوتية للفاصلة بالدلالة السياقية للآية ، كما تجنّبت معظم تلك الدراسات ــ فيما أعلم - رصد شبكة العلاقات الصوتية بين الفواصل المتتابعة)) [١٣].

إن الفاصلة القرآنية وإن كانت في ظاهرها فاصلة صوتية إلاّ أنّ لها ارتباطها الوثيق بدلالة الآية ، وأن المعنى مقدّم على الانسجام الصوتي العام للفواصل

وقد يضحّي بالانسجام العام من أجل انسجام صوتي خاص يتلاءم مع الصورة الفنية التي يراد لألفاظ الآية أن توحي بها في نسق معيّن فضلاً عن ادراك المعنى المراد[١٤].

ولا خلاف في أن الكشف عن علاقة الفاصلة القرآنية بالسياق الدلالي قد يتحقّق في مواضع ويخفى في مواضع أخر ، ويحسن بنا في هذا السياق أن نستأنس بما نصّ عليه ابن جني في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني) الذي حشد فيه نماذج لعلاقة الصوت المفرد بالمعنى ، ولكنه قبيل انتهاء الباب ينوّه إلى صعوبة الربط بين الصوت والمعنى في بعض المواضع معلّلا ذلك بقوله : ((فإن أنت رأيت شيئا من هذا النحو لا ينقاد إليك فيما رسمناه ، ولا يتابعك على ما أوردناه ، فأحد أمرين : إمّا أن تكون لم تنعم النظر فيه فيقعد بك فكرك عنه ، أو لأن لهذه اللغة أصولا وأوائل قد تخفى عنا وتقصر أسبابها دوننا ...)) [١٥].

وسنحاول في هذا المبحث جاهدين تلمّس العلاقات الدلالية بين السياقات الصوتية لنهايات الفواصل وبين السياقات العامة في سورة (الشمس) ندرسها من منطلق المستوى الصوتي والإيقاعي الموجود فيها فقد بنيت سورة الشمس على الأصوات الانفجارية المجهورة وعلى تكرار هذه الأصوات الانفجارية كما نلاحظ في الآيات الشريفة «والشَمْسِ وَضُحَاهَا , وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا, وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا , وَاللَّيْلِ إذا يَغْشَاهَا , والسماء وما بناها , والأرض وما طحاها , ونفس وما سواها و, فالهمها فجورها وتقوها , قد أفلح من زكاها , وقد خاب من دساها , كذبت ثمود بطغواها , اذا أنبعث أشقاها , فقال رسول الله ناقة الله وسقياها , فكذّبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها , ولا يخاف عقباها , [الشمس]

فكما نلاحظ الأصوات الانفجارية من الواو المشبعة إلى الألف في (ضحاها / إذا تلاها/إذا جلاها/إذا يغشاها/وما بناها/وما طحاها/ وما سواها/ فألهمها فجورها وتقواها/زكاها/ خاب من دساها) السورة الشريفة بدأت بواو القسم وهو حرف جهوري ثم علاوة على الواو نلاحظ حرف الضاد ثم تكرار الألف مرتين في ضحاها ، ثم لا تخفي علينا الفواصل ثنائية المقطع وقد بدأ – هذا ب (إذا تلاها / إذا جلّاها/ إذا يغشاها) ثم تستمرّ هذه الفواصل الثنائية لكن باختلاف بسيط حذفت «إذا» وجاءت «ما» مكانها لكن بنفس النبرة والصوت الجهوري أعني به الألف (ما بنها/ما طحاها/ماسوّاها) فالألف وهو صوت مجهور يقرع الأذن ويوقظ الأعصاب بذلك يكون له بعد الإثارة الجهورية. [١٦] فالانتقال بالأصوات بين الجهر والانفجار يتناسب مع هدف الصورة الحسيّة للتعبير عن قوة الجذب والمعاناة وهذا ما أطلق علية الدلالة الصوتية أو رمزية الألفاظ [١٧]

وهذه الصورة كباقي صور القرآن الكريم ذات جرس وموسيقى ينفذ في القلب وأيقظ المشاعر وعن ذلك يقول سيد قطب : «هذه السورة القصيرة ذات القافية الواحدة ، والإيقاع الموسيقي الواحد، تتضمّن « عدة لمسات وجدانية تنبثق من مشاهد الكون وظواهره حقيقية النفس الإنسانية ، واستعداداتها الفطرية ، ودور الإنسان في شأن نفسه وتبعثه في مصيرها. هذه الحقيقة التي يربطها سياق السورة بحقائق الكون ومشاهده الثابتة» [١٨] ولم يتوقّف هذا الإحساس بالحركة السريعة متناهية الغاية، بل نجده يتبع بأصوات

الفواصل اللاحقة للفاصلة الأولى، اذ نجد هيمنة السين والشين على الفواصل التالية لها « والشَمْسِ وَضُحَاهَا , وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا, وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا , وَاللَّيْلِ إِذا يَغْشَاهَا , والسماء وما بناها , والأرض وما طحاها , ونفس وما سواها , » [الشمس] ولا سيما المقطع الأول منها (ش، س) ، والسين والشين من الأصوات المهموسة ، وفي اجتماعهما يؤدّيان معنى العظمة الكاملة والقوة القادرة في التحرك والانطلاق فأصوات الفاصلة الثانية تنطق بسهولة على اللسان، لكن فَصَلَ بين الصوتين المهموسين صوت انفجاري وهو حرف «الميم» في «الشمس» ثم تستمرّ السورة في الإيقاع الموسيقي كي تعطي الفكرة المرجوّة من قبل الله تعالى « كذّبت ثمود بطغواها , اذا انبعث أشقاها , فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها , فكذّبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها, ولا يخاف عقباها , [الشمس] نلاحظ أن النبرة الصوتية مازالت مرتفعة لكن الفاصلة طالت في الآيتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة والفواصل تتكوّن من المقاطع التالية في الجدول التالي:

مقاطع فواصل الآيات	الأصوات المجهورة	الأصوات المهموسة
ضُ/حا/ها	ض/ الألف/ الألف	ح/ه
تَ/لا/ها	ت/ل/الألف	ه
جَل/لا/ها	ل/ل/الألف	ج/ه
يغ/شا/ها	غ/ الألف/ الألف	ي/ش/ه
بَ/نا/ها	ب/ن/ الألف/ الألف	ه
طَ/حا/ها	الألف/ الألف	ط/ح/ه
سو/وا/ها	واو/ الألف/ الألف	س/ه
تق/وا/ها	ت/و/ الألف/ الألف	ق/ه
زك/كا/ها	الألف/ الألف	د/س/س/ه
دس/سا/ها	الألف/ الألف	د/س/س/ه
طغ/وا/ها	ط/غ/و/ الألف/ الألف	ه
أش/قا/ها	الألف	أ/ش/ق/ه
سُق/يا/ها	الألف/ الألف	س/ق/ي/ه
سو/وا/ها	واو/ الألف/ الألف	س/ه
عُق/با/ها	ع/ب/ الألف/ الألف	ه

كما نلاحظ كثرة الأصوات المجهورة تطغى على الأصوات المهموسة وبما أن السورة مكية ولها جرس خاصّ فكأنها تنبّه النائمين عن الدعوة وتوقظهم إلى الحقّ وإلى نور مشرق، هذه الحروف تكون الدلالة اللفظية والدلالة اللفظية تتواشج مع الدلالة الصوتية لتحقيق المعنى المراد[١٩]

وتكرار الصوت المهموس فيه دلالات الأيقاظ للمشاعر وكأن الصوت ينبّه الغافل وملتقّي هذه الآيات يدرك معاني الأصوات المتناغمة في أذنه . ولكل مفردة في القرآن وظيفة محدّدة لاتسدّ مكان غيرها ، إذ تميّزت المفردة فيه بمميزات ثلاث تؤسّس المعنى من خلال « جمال وقعها في السمع واتساقها الكامل مع المعنى واتساع دلالتها لما لا تتسع له دلالات الكلمات الأخر» [٢٠] فالموسيقى الموجودة في سورة الشمس تقارب في المفردات والكلمات المتواشجة ببعضها البعض

المبحث الثاني
الأثر الدلالي الصرفي للفاصلة

للبنية الصرفية وتقلبّاتها علاقة مباشرة بالدلالة ، فقد يؤدي التغيير الذي يطرأ على بنية الكلمة إلى تغيير في الدلالة التي تُعطيها، ممّا يُضفي على النص الذي ترد فيه معانٍ جديدة لم تكن فيه لولا التغييرات التي طرأت على تلك البنية ، ومن هنا جاءت عناية علم الدلالة بدراسة التركيب الصرفي للكلمة وبيان المعنى الذي تؤدّيه صيغتها ، فلا يكفي لبيان معنى (استغفر) مثلا بيان معناها المعجمي المرتبط بمادتها اللغوية (غ ف ر) بل لابد أن يُضمّ إلى ذلك معنى الصيغة وهي هنا وزن (استفعل) ، أو (الألف والسين والتاء) التي تدلّ على الطلب[٢١]، فالدلالة الصرفية هي الدلالة التي تستمدّ عن طريق الصيغ وبنيتها[٢٢].

وانطلاقا من هذا اهتمّت الدراسات اللغوية بتتبّع بنيات الكلمات في النصوص ، وتلمّس دلالات صيغها المتعدّدة لما لهذه الصيغ من أهمية في شحن السياق العام للنص بدلالات ومعان مختلفة ، ((فالصيغة تؤدي عملاً مهمًّا في تحديد المعنى ، وهي التي تقيّم الفروق بين الكلمات ، ولولا ذلك لالتبست معاني الألفاظ المشتقّة من مادة واحدة ، وهي – بعد – تقدّم لعلم النحو القوالب التي تقوم بالوظائف الدلالية كالفاعلية ، والمفعولية ، والمكانية ، والزمانية ، والسببية ، والحدثية وغيرها من المعاني النحوية التي يتطلّبها السياق)) [٢٣].

وقد التفت القدماء إلى وجوب التناسب بين المعاني والصيغ التي تُفرغ فيها وتدلّ عليها ، ومنهم ابن جني (ت٣٩٢هـ) إذ قال مشيرا إلى ذلك : ((ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل ، فقالوا : كسَّر ، وقطَّع ، وفتَّح ، وغلَّق . وذلك أنهم لمّا جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللفظ ينبغي أن يُقابل بهِ قوّة الفعل ...)) [٢٤]، وهذا يعني أن ((هناك دلالة معنوية يكتسبها اللفظ تبعاً للصيغة التي يكون عليها ، فالمعنى الذي نستوحيه من «كَسَّرَ» يختلف عن «كَسَرَ» فالتضعيف أكسب الأولى زيادة معنوية)) [٢٥] .

وسنحاول في هذا المبحث تلّمس الأثر الدلالي الذي أضفته الصيغ الصرفية المختلفة التي بُنيت عليها فواصل سورة (الشمس) على سياقها الدلالي العام

استكمالا لدراسة المستويات اللغوية التي بدئت بالصوت بوصفه أصغر وحدة دلالية مؤثّرة في لغة النص صعودا إلى مجموعة الأصوات المتمثّلة بالبنية الصرفية والبحث عن الدلالات الخاصة بكل بنية على حدة والتي تُسهم إسهاما فاعلا في الدلالة العامة للسورة . إن أهم دلالة صرفية يمكن رصدها ، وتلمّس أثرها الدلالي في فواصل سورة (الشمس) هي صيغة (الفعل المزيد بالتضعيف) وهي (جلّاهَا، سَوَّاها، زكّاها،دَسَّاها) .

والزيادة بالتضعيف تحدث بتشديد صوت من أصوات الأصل ولا يُلتزم في ذلك بأصوات الزيادة بل أي صوت يكوّنه ذلك الأصل[٢٦]. والزيادة في هذا الموضع حاصلة من تكرار عين المجرد (فَعَلَ) من غير فاصل بين الحرفين المكرّرين[٢٧]، ونحن إذ نقول(هَذّبَ) و(قَطّعَ) فهو على مثل (فَعّلَ) لا (فَعْذَلَ) أو (فَعْطَلَ) لأنه لم يرد بها زيادة الذال أو الطاء وإنّما يراد بالعين أنها تتكرّر وإن كان المكرّر بلفظ الأصل[٢٨].

ولا تكون زيادة التضعيف في فاء الفعل أو لامه بل تقتصر على عينه ، وقد أشار ابن جني إلى ذلك حين قال : ((ويكون التضعيف في عين الفعل إذ لم يكونوا ليضعّفوا الفاء ولا اللام لكراهة التضعيف في أول الكلمة والاشتقاق على الحرف المضعّف أن يجيء في آخرها وهو مكان الحذف وموضع الإعلال وهم قد أرادوا تحصين الحرف الدالّ على قوّة الفعل فهذا أيضاً من مساوقة الصيغة للمعاني)) [٢٩] .

وللـ(فعل المزيد بالتضعيف) دلالات أو معانٍ متعددة تختلف باختلاف السياق الذي يرد فيه الفعل؛ إذ أجمع الصرفيون على أن لـ(فعّل) المضعّف : إحدى وعشرين دلالة رئيسية تتفرّع منها دلالات فرعية وأشهر هذه الدلالات هي : (التكثير، والتعدية، ونسبة المفعول إلى أصل الفعل ، الدعاء للمفعول بأصل الفعل ، والسلب ، والصيرورة ، ... الخ) [٣٠].

وقد اتّفق معظم اللغويين على مجيء (فَعّل) للتكثير والمبالغة[٣١] ، قال سيبويه : ((تقول : كَسَّرتها وقَطّعتها ، فإذا أردت كثرة العمل قلت كسّرته وقطّعته ومزّقته)) [٣٢] .

والتكثير يكون إمّا في الفعل نحو قولك : جَوّلتُ وطوّفتُ ، أي : أكثرت الطواف والجولان ، وإمّا في الفاعل نحو : موّتَتِ الإبلُ و برّكتْ ، أي : كثر الميت منها والبارك ، وأمّا في المفعول ، نحو : غلّقتُ الأبواب ، أي : أغلقت أبواباً كثيرة[٣٣].

المبحث الثالث

الأثر الدلالي الإيحائي للفاصلة

وبعد أن درسنا في المبحثين السابقين التأثيرات الدلالية (الصوتية، والصرفية) التي أضفتها الفواصل القرآنية على الدلالة العامة لسورة (الشمس) ، سيصبّ اهتمامنا في هذا المبحث على تلمّس ما يسمّى بـ(المعنى الإيحائي) الذي أضفته فواصل تلك السورة على السياق الدلالي العام لها؛ بغية استكمال الفائدة والتزاما بتراتبية المستويات اللغوية المُكَوِّنة للنص بحسب تسلسلها المنطقي (صوت = لفظ = تركيب = دلالة) .

عُرّف هذا النمط من الدلالة بأنه ((ذلك المعنى الذي يتعلّق بكلمات ذات مقدرة خاصة على الإيحاء...)) [٣٤]، وقد حصر (أولمان) تأثيرات هذا النوع من المعنى في ثلاثة هي : [٣٥]

١ــ التأثير الصوتي : ومنه إذا كانت الكلمة تدلّ على بعض الأصوات أو الضجيج الذي يحاكيه التركيب الصوتي للاسم، ويمكن التمثيل له بالكلمات العربية : صليل (السيوف) ــ مواء (القطة) ــ خرير (الماء) .

٢ــ التأثير الصرفي : ويتعلّق بالكلمات المركّبة مثل : كلمة (handful) بالانجليزية فكلمة (hand) منفردة تعني (اليد)، وإذا أُلحقت بها (الإضافة النهائية) : (ful) أصبحت تُعطي معنيين : (حفنة، وعدد قليل) ، وكذلك يتعلّق بالكلمات المنحوتة في العربية مثل (بحتر) للقصير التي نُحتت من (بتر ، وحتر) ، فـ(بتر) يدلّ على القطع قبل الإتمام[٣٦] ، و(حتر) من معانيه : تقليلُ الشيء وتزهيدُه[٣٧]، واتحاد المعنيين يعطينا دلالة جديدة توحي بالقصر .

٣ــ التأثير الدلالي : ويتعلّق بالكلمات المجازية أو المؤسسة على المجاز ، أو أي صورة كلامية معبّرة ، ويدخل في هذا النوع ما سمّاه (leech) بالمعنى المنعكس (reflected meaning) ، وهو المعنى الذي يثور في حالات تعدّد المعنى الأساسي ، فغالبا ما يترك المعنى الأكثر شيوعا أو الأكثر إلفا أثره الإيحائي على المعنى الآخر، ويتّضح المعنى الانعكاسي بصورة أكبر في الكلمات ذات المعاني المكروهة أو المحظورة في العرف الاجتماعي مثل الكلمات الدالة على (الجنس)

وأحسب أن كلَّ كلمةٍ أو تركيبٍ يحمل طاقاتٍ إيحائية يدخل ضمن النمط السابق من الدلالة ، كالكنايات والرموز والاستعارات أو الألفاظ المفردة التي اختزنت ظلالا إيحائية متعدّدة اكتسبتها من العرف الديني أو الاجتماعي ، فقولنا مثلا (مَلاَك) يوحي بهذا المخلوق الذي له هيأة خَلْقِيّة وخُلقية خاصة تختلف عن الجن والأنس فهو يحمل كلّ الصفات المعنوية والجسدية الحسنة من جمال هيئة ، وحسن خُلق، وإيمان...وما إلى ذلك ، فعلى الرغم من أننا لم نره رأي العين لكننا ــ في حال سماعنا لاسمه ــ ينتابنا شعورٌ بالارتياح والاطمئنان والجو الايماني متأثرين بحمولاته الإيحائية المكتسبة من العرف الديني ، لذا ننعت الأجواء التي نجد فيها صبغة دينية أو إنسانية طيبة هادئة تخيّم عليها السكينة بـ(الأجواء الملائكية)، بسبب من هذه الإيحاءات المكتسبة ، وأمثال هذه الكلمة كثيرة واسعة بسعة اللغة واستمرار تطوّرها .

وسورة (الشمس) بعامّة مكتنزة بهذا النمط الدلالي ــ الدلالة الإيحائية ــ ، ولاسيما فواصلها التي أسهمت إسهاما فاعلا في تزويد السياق الدلالي العام للسورة بالإيحاءات المتعدّدة الدالّة على المعنى المراد ، والتي تصل إلى الغاية بأقلّ العبارات وأقصرها ، وقد تخلّلت نسيج السورة ــ من خلال فواصلها ــ كنايات واستعارات متعدّدة ألقت بظلالها الإيحائية على السياق الدلالي العام للسورة ، ومن ذلك الدلالة الإيحائية التي جاءت بها الفاصلة في سورة الشمس وجاءت فواصل السورة المباركة جميعها على نمط واحد وهو الألف المسبوق بالهاء , ونجد أن الله عز وجل – رغم أنه قد أقسم بظواهر طبيعية وتحدّث عن النفس وقصة ثمود ، إلا أن السورة احتفظت فواصلها بنفس الوزن، واللحن الذي يتناسب مع ما عرض في هذه السورة من الظواهر الكونية وتنتشر صور التقابل في هذه السورة الكريمة ،لما لصيغة المقابلة من أثر في نفس القارئ أو المتلقّي، لأنها تجعله يعقد

مقارنة أو مقابلة بين أمرين أو شيئين وهذا ممّا يزيد الإنسان المؤمن تفكّراً في عظم النص – القرآني وإعجازه ونجد مثل هذه الصيغة قد غطّت ثلثي هذه السورة الكريمة[٣٨]

الخاتمة

وبعد أن وصلت الدراسة إلى خواتيمها فقد آن لنا أن نُسجّل أبرز ما أفْضَتْ إليه من نتائج وبالنقاط الآتي ذكرها :

١- كشفت الدراسة عن أهمية الوظيفة الدلالية للفواصل القرآنية التي أسهمت في رفد السياقات المعنوية العامة لسورة (الشمس) إسهاما فاعلا وأمدّتها بدلالات متنوّعـة ابتداء من النسق الصوتي ومروراً بالنسق الصرفي ثم النسق الإيحائي .

٢- بيّنت الدراسة أهمية البنية الصوتية المتمثّلة بنهايات الفواصل القرآنية بالنسبة للسياقات الدلالية العامة للسورة من خلال التناغم والتناسب العجيب الذي برز بين أصوات أواخر الفواصل وبين الدلالات العامة المرادة في السورة ؛ إذ جاءت السورة على ثلاثة محاور دلالية ناسبت كلها مخارج الأصوات النهائية وصفاتها.

٣-وضّحت الدراسة أن البِنيات المجازية الإيحائية المُنتخبة الواردة في فواصل سورة (الشمس) بعامة قد خرقت آفاق الاستعمالات التداولية للغة ، فأضفت على السياقات الدلالية للسورة أبعاداً معنوية متخفيّة في بنياتها العميقة لا تظهر بمجرد الاطّلاع على بنياتها السطحية ، فأثارت بذلك جهاز استقبال المتلقي ، وجعلته يتفاعل مع الدلالات الواردة في السورة بعامة .

الهوامش

١- لسان العرب ، إبن منظور محمد أبو الفضل، دار صادر للطباعة والنشر ،لبنان،د ط، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ج١١،ص١٨٨ - ١٨٩

٢- كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي،تح: عبدالحميد هنداوي،دار الكتب العلمية ،بيروت،دط ،١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ج٣، ص ٣٢٤

٣- البستان ، عبدالله البستاني ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ،ط١٩٩٢،١م،ص٨٢٧

٤- إعجاز القرآن الكريم في دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها، عبدالكريم الخطيب، مج١،ط٢،بيروت،دار المعرفة،١٣٩٥هـ/١٩٧٥م ، ص٢٠٥

٥- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرُّمَّاني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني في الدراسات القرآنية والنقد الأدبي ، حقّقها وعلّق عليها : د. محمد زغلول سلام ، ومحمد خلف الله أحمد ، ط٣ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٦م / ٩٧ .

٦- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩١هـ / ١ / ٥٣ .

٧- الفاصلة القرآنية طبيعتها الإيقاعية وأنواعها ووظيفتها ، أ.د. زاهد غازي زاهد ـ جامعة بغداد ، مجلة المصباح ، ع١ ، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م / ١٣٧ .

٨- ينظر: الفاصلة القرآنية طبيعتها الإيقاعية وأنواعها ووظيفتها / ١٤٠ .

٩- البرهان في علوم القرآن / ١ / ٥٤ .

١٠- ينظر: الفاصلة القرآنية طبيعتها الإيقاعية وأنواعها ووظيفتها / ١٤٣ ، ١٤٥، ١٤٦.

١١- الصوت والدلالة ـ دراسة في ضوء التراث وعلم اللغة الحديث ـ ، د. محمد بو عمامة، مجلة التراث العربي، ع٨٥، ٢٠٠٢م / ١١ .

١٢- ينظر: المرجع نفسه / ١١ .

١٣- الأسلوبية الصوتية في الفواصل القرآنية ، د. عمر عبد الهادي عتيق، مجلة المنارة، مج١٦ ، ع٣ / ٣ .

١٤- ينظر : أبحاث في أصوات العربية، الدكتور حسام سعيد النعيمي , دار الشؤون الثقافية العامة بغداد /١٩٨٨ م / ١٤٨ ، و ينظر : الصوت اللغوي في القرآن الكريم، الدكتور محمد حسين على الصغير , دار المؤرخ العربي بيروت /٢٠٠٠ م / ١٤٧ .

١٥- الخصائص ، صنعة أبي الفتح عثمان بن جنّي، بتحقيق : محمد علي النجار، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٧م / ٢ / ١٦٤ .

١٦- البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث ، مصطفى السعدني ، الأسكندرية، المعارف بالإسكندرية ،ص٣٣

١٧- الفاصلة القرآنية ، عبدالفتاح لاشين ، الرياض، دار المريخ ، ١٩٨٢م، ٤٥/٢

١٨- في ظلال القرآن الكريم ، سيد القطب، بيروت ، دار المعارف،١٤٢/٣٠

١٩- علم الأصوات العام ، بسام بركة ، بيروت، مركز الانماء الوطني، ص٣٢١
٢٠- التعبير الفني في القرآن الكريم ، بكري شيخ أمين، القاهرة دار المشرق، ١٩٧٣م، ص١٧٩
٢١- ينظر: علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر ، ط٥، عالم الكتب ، القاهرة، ١٩٩٨م / ١٣ .
٢٢- ينظر : دلالة الألفاظ ، د. إبراهيم أنيس ، ط٥ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٤م: ٣٦
٢٣- المعنى في تفسير الكشاف للزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨هـ) ، (أطروحة دكتوراه) ، نجاح فاهم صابر العبيدي ، كلية التربية ـ جامعة بابل ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م / ٦٢ .
٢٤- الخصائص/ ١٥٧/٢ .
٢٥- علم الدلالة عند العرب : عليان بن محمد الحازمي ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، المجلد (١٥) ، العدد (٢٧) ، ١٤٢٤هـ : ٧١٢ .
٢٦- ينظر: عوارض الاشتقاق: د. طارق الجنابي، مجلة التربية ، العدد ١٢ ، ١٩٩٣: ٥٤ .
٢٧- ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي ، ط١، منشورات دار النهضة – بغداد ، ١٣٨٥ هـ ــ ١٩٦٥ م/ ٩٤.
٢٨- ينظر : المنصف، شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي (ت٣٩٢هـ) لكتاب التصريف ، للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري ، تحقيق إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين ، ط١ ، دار إحياء التراث القديم ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٤ م/ ١٦٢/١.
٢٩- الخصائص/ ١٥٧/٢.
٣٠- ينظر: الفعل المزيد في شعر بدر شاكر السيّاب ـ مجموعة أنشودة المطر إطارا ـ (رسالة ماجستير) ، ضواء محمّد صالح الطائي، كلية التربية ـ جامعة الموصل، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م / ١٠٧ .
٣١- ينظر : الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون ط٢ مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٢ م / ٦٤/٤ .
٣٢- الكتاب : ٦٤/٤ .
٣٣- ينظر : دروس التصريف ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٣ مطبعة السعادة ، مصر ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م / ٧٠
٣٤- علم الدلالة / ٣٩ .
٣٥- ينظر: المرجع نفسه / ٣٩ ـ ٤٠ .
٣٦- ينظر: مقاييس اللغة/ ١ / ١٩٠.
٣٧- ينظر: المصدر نفسه / ٢ / ١٠٦.
٣٨- ينظر : السجع القرآني ـ دراسة أسلوبية ، هدى عطيّة عبد الغفّار ، (رسالة ماجستير) ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠١م ص١٩.

المصادر والمراجع

١- أبنية الأفعال المجردة في القرآن الكريم ومعانيها ، أحلام ماهر محمد حميد ، ط١ دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٩ م .

٢- أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، معجم ودراسة ، الدكتورة خديجة الحديثي ، ط١ مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ٢٠٠٣ م .

٣- أدب الكاتب ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) ، تحقيق : علي فاعور ، ط٤ دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٩ م .

٤- الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ، الدكتورة عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ) ط دار المعارف ــ مصر ١٣٩١ هـ ــ ١٩٧١ م .

٥- أوزان الفعل ومعانيها ، الدكتور هاشم طه شلاش ط مطبعة الآداب . النجف الأشرف ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

٦- الإيضاح في شرح المفصل ، أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بـــ (ابن الحاجب النحوي) ، (ت ٦٤٦ هـ) ، تحقيق : موسى بناي العليلي ط مطبعة العاني ، بغداد ١٩٨٢ م .

٧- البناء اللغوي في الأصمعيات ، دراسة صرفية نحوية ، (اطروحة دكتوراه) ، قدمها : عصام كاظم شناوة الغالبي ، بإشراف : الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبيد العاني ، كلية التربية / ابن رشد ، جامعة بغداد ١٤٣٠ هـ ــ ٢٠٠٩ م .

٨- التكملة ، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار النحوي (ت ٣٧٧ هـ) ، تحقيق ودراسة : الدكتور كاظم بحر المرجان ط٢ عالم الكتب بيروت ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م

٩- جامع الدروس العربية ، مصطفى الغلاييني ، تحقيق : سالم شمس الدين ، ط١ دار الكوخ للطباعة والنشر (د . ت) .

١٠- الحقول الدلالية الصرفية للأفعال العربية ، سليمان فياض ط١ دار المريخ للنشر ، الرياض ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

١١- الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) تحقيق : محمد علي النجار ، ط٤ دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٩٠ م .

١٢- سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني النحوي (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق : الدكتور حسن هنداوي ، ط١ دار القلم ، دمشق ١٩٨٥ م .

١٣- شرح المفصل ، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش النحوي الاسدي (ت ٦٤٣ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت (د ز ت) .

١٤- كتاب سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) تحقيق : عبد الس أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، معجم ودراسة ، الدكتورة خديجة الحديثي ، ط المنصف ، أبو الفتح عثمان بن جني النحوي (ت ٣٩٢ هـ) لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني النحوي البصري ، تحقيق : إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، ط١ دار إحياء التراث القديم ، مصر ١٣٧٣ هـ ــ ١٩٥٤ م .

١٥- المغني في تصريف الأفعال ، محمد عبد الخالق عضيمة ، ط٢ مطبعة العهد الجديد (د . ت)

١٦- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـــ(الراغب الأصفهاني) ، (ت ٥٠٢ هـ) تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ط١ مؤسسة الأعلمي ، بيروت ١٤٣٠ هـ ــ ٢٠٠٩ م .

- الرسائل والأطاريح الجامعية

١- المجالات الدلالية لصيغة (أَفْعَل) في القرآن الكريم ، (رسالة ماجستير) قدمها : معن يحيى محمد ، بإشراف : الدكتور عماد عبد يحيى ، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٤١٩ هـ ــ ١٩٩٨ م .